الازهر في ظل الفاطميين

دراسة في تراثه الفني والثقافي

الدكتورة رمزية الاطرقجي
قسم التاريخ ـ كلية الآداب
جامعة بغـداد

لقد كتب العديد من الكتاب والمؤرخين عن الجامع الازهر ، وعقـــدت ندوات في العيد الالفي لهذا الجامع في مصر ، شارك فيها كتاب مصريون ،وعدد من الاجانب ، ابرزوا ما لهذا الجامع من الاهمية التاريخية ، باعتباره اول جامعة اسلامية ، لا في مصر وحدها ، بل وفي العالم الاسلامي عامة • لقد ظل الازهر ، عبر التاريخ الطويل موئلا للثقافات الدينية والعربية وعنصرا بارزا من عناصر الحركة الفكرية في العالم الاسلامي •

كلما ذكر الازهر اقترن اسمه بذكر الفاطميين ومؤسسي دولتهم وبخاصة الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله[1] ، وقائده جوهر الصقلي مشيد القاهرة وباني الجامع الازهر •

قام الفاطميون بكثير من المحاولات لفتح مصر ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك الا بعد زوال الحكم الاخشيدي فيها • وكانت دوافع الفاطميين ، لفتح مصر توسعيه ودينيه وعقائدية[2] وذلك انهم كانوا يريدون القضاء على خلافتين اسلاميتين ليستأثروا في الخلافة وحدهم ، ما دام من غير الممكن شرعا تعدد

---

(١) الخليفة الرابع بالمغرب، والاول في مصر .(محمد عبدالله عنان) تاريخ الجامع الازهر ص ٣٠

(٢) ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مسالك القاهرة) جـ٢ ص ٧٨٥

الخلافة في العالم الاسلامي ، ومن ثم ارسلوا جوهر الصقلي للاستيلاء على سبته تمهيدا لفتح الاندلس فلم يفلح ،فتحولوا الى املاك الخلافة وكان عبدالله المهدي ، اول خلفاء الفاطميين ، قد وجه ثلاث حملات عسكرية لهذا الغرض ، آخرها سنة ٣٢١ هـ وامتدت هذه الحملة ، الاخيرة حتى سنة ٣٢٤ هـ على عهد القائم محمد بن القاسم الخليفة الفاطمي الثاني ، وقد اخفقت هذه الحملات في تحقيق أهدافها ، لان مصر كانت حينذاك من المنعة بحيث استعصت على الفاتحين[٣] ، وكان الفاطميون قد مهدوا لفتح مصر بارسال دعاتهم اليها سرا لنشر الدعوة بين طبقات الشعب[٤] ، فلما شحت الاموال على الجند فيها كتب جماعة منهم الى المعز لدين الله ، وهو بالمغرب يطلبون منه عسكرا ، ليسلموا اليه مصر[٥] .

ولما تم للفاطميين غزو مصر بنجاح نقلوا مركز حكمهم من المهدية[٦] الى عاصمة جديدة شيدها جوهر في مصر اسماها القاهرة ، ولم تلبث عاصمة الخلافة الفاطمية الجديدة ان أصبحت لا تقل شهرة في العالم الاسلامي عن مدينتي بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وقرطبة عاصمة الخلافة بالاندلس .

وقد كان لفتح الفاطميين مصر اثر كبير في العالم الاسلامي بصفة عامة ، وفي تاريخ مصر السياسي بصفة خاصة[٧] ، فلم تعد القاهرة حاضرة ولاية تابعة للخلافة العباسية ، ولا مستقلة استقلالا داخليا داخل حدود الخلافة ، انما اصبحت منذ نشأتها حاضرة دولة مستقلة منافسة بغداد[٨] .

---

(٣) ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة جـ ٢ ص ٧٧ .

(٤) محمد العزب موسى ، وحدة تاريخ مصر ص ٢٠٤ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٤ ص ٣٠ .

(٦) المهدية عاصمة الفاطميين ، بجوار تونس انشأها اول خلفائهم عبدالله المهدي سنة ٢٩٦ هـ عبدالله عتان : تاريخ الجامع الازهر ص٣٠

(٧) نعمت اسماعيل : فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ص ٨٢ .

(٨) ستانلي لنبول : سيرة القاهرة ص ١١٨ ترجمة حسن ابراهيم حسن ، وعلي ابراهيم حسن .

وقد عمرت القاهرة الفاطمية نحو قرنين او يزيد قليلا احرزت فيهما ما احرزت من نهوض وتقدم في شتى نواحي الحياة ، حتى نافست بغداد سياسيا ومذهبيا اولا ، ثم ورثتها بعد غزو المغول لها مجدا وثقافة ، فقد كانت عاصمة الاسلام الثانية في القرن الرابع الهجري[٩] ، ثم ضعف أمر الفاطميين في مصر في أيام العاضد وانتهى ملكهم سنة ٥٦٧ هـ .

لقد سطر الفاطميون في تاريخ مصر صفحات ذهبية ، وارتفعوا بمصر الى درجة من التقدم المادي ، وكان الفاطميون يناظرون العباسيين في كل شيء ، ولما اخذت الدولة العباسية بالتقهقر ، فاقوهم في كثير من اسباب البذخ والترف فقد كان لهم دور يختزنون بها ادوات الترف والبذخ ويسمونها خزائن . يذكر جرجي زيدان : « ان ما اخرجوه من خزانة الجوهر في أيام الشدة على عهد المستنصر بالله سنة ٤٨٧ هـ صندوق فيه زمرد سألوا الصياغ عن قيمته فقالوا، انما نعرف قيمة الشيء اذا كان مثله موجودا »[١٠] .

وقد اكتمل في عصرهم الفن المصري الاسلامي ، وتجلت براعة رجال الفن من المسلمين في صور كثيرة تفرض الاعجاب على كل من يشاهدها فلقد ترك لنا الفاطميون ، عدة آثار تدل على عظم ثروتها وتكشف عن مدى ما بلغوه من الخبرة الواسعة ، بطرق البناء والتصميم ، ومقدار ما ابتدعوه من الاوضاع الزخرفية واستمر الازدهار الفني في مصر حتى فترة ضعف الدولة الفاطمية ، وامتدت ثقافتهم الى خارج مصر ، كما ظل تأثير الثقافة الفاطمية على موطنهم الاصلي في افريقية قائما[١١] .

---

(٩) الجيرتي : عجائب الآثار في تراجم الاخبار جـ ١ ص ١٤ ، يقول المقريزي انهم حكموا (الفاطميون) مائتي سنة واثنين وسبعين سنة وايام ، مائتان وثماني سنين منها بالقاهرة (اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا) ص ٢٩٣ .

(١٠) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي جـ ٥ ص ١١٣ .

(١١) نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ص ٨٢.

أما مسألة نسبهم فمن الامور التي تضاربت فيها الآراء وليس من شأني هنا ان احاول الفصل فيها ، فمن خلال قراءاتي لكثير من المؤلفات التي كتبت عن الفاطميين ، وجدت طائفة من المؤرخين يرون انهم من نسل الامـــام علي والسيدة فاطمة ، وطائفة تنكر عليهم هذا النسب(١٢) . فصحة نسبهم موضـع شك ومحل طعن كثير من المسلمين . ولكن هذا الشك الذي حام حول اصلهم كان له أثره في الدور العظيم الذي لعبوه في الحضارة الاسلامية في مصر ، فلقد ادركوا عندما أصبح بأيديهم زمام حكم البلدان ان معظم المصريين على المذهب السني ، بينما هم على المذهب الشيعي وان انتسابهم لآل البيت موضع شـك فأرادوا ان يقربوا ، مسافة الخلف بينهم وبين من يحكمون ، فأقبلوا على الحياة العامة يوجهون اليها جهدهم ، ويعنون بها حتى يصرفوا الناس عن التحدث عن أصلهم الى التحدث في منشأتهم واعمالهم فاهتموا بشؤون الشعب ، واسرفوا في الترفيه عنه ، وسهلوا له سبل اللهو بما ابتدعوه من المواسـم والموالـــد والاعياد .

لقد بلغت في الحق بفضل سياسة الفاطميين القائمة على الاهتمام بالشعب والاسراف في الترفيه عنه ، اوج الرقي في ايامهم وفاقت مدينة القاهرة جميـع العواصم المعروفة في عصرهم(١٣) ، وقد انتشرت في عهد الفاطميين الحفلات الرسمية(١٤) ، بشكل لم يعرف في أي بلاط اسلامي سابق ، وهي المعروفة باسم الرسوم ، التي هي مأخوذة من تقاليد حكام مصر منذ الفراعنة ، او من رسوم العباسيين ، أو حتى من رسوم الفرس والروم ، ويقول ابن تغرى بردى : « ان هذه الرسوم اول من اسنها هو المعز الفاطمي »(١٥) .

اتبع الفاطميون سياسة التسامح وطريق الاقناع مع الشعب المصري ، وتجنبوا مباديء الشيعة المتطرفة ، فرضى الناس بالنظام الجديد ، ولم يقابلوه

---

(١٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٨ .

(١٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٨٥ .

(١٤) العقاد : فاطمة الزهراء والفاطميون ص ١٩٠ مسلسلة دار الهلال عدد ٢٧ .

(١٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٧٩ .

بالاعتراض او التعصب[١٦] . يقول القلقشندي : « ان سياسة التسامح التي اتبعها الفاطميون مع اهل السنة مكنهم من اظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم[١٧] ، ويلقون دروسهم على جمهور المستمعين بجامع عمرو » . ويؤيده في ذلك ستانلي[١٨] فيقول : « ان الفاطميين تسامحوا مع علماء اهل السنة بأن اذنوا لبعض فقهاء اهل السنة أن يلقوا دروسهم وتعاليمهم في الجامع الازهر ، كما كانوا يرعون على الدوام رعاياهم المسيحيين ، ونتيجة لهذا التسامح وهذه السياسة وحرية الفكر التي نادى بها الفاطميون سجل بعض الاطباء المسيحيين واليهود تقدما يذكر .

وقد تزوج المعز بمسيحية ، والعزيز استوزر يهوديا ، هو يعقوب بن كلس[١٩] الذي كان له شأن في تأريخ القاهرة المالي والثقافي .

واول ما ظهر من حرص الفاطميين على تأسيس الحياتين العلمية والادبية في قاعدة ملكهم الحديثة ، هو بناء الجامع الازهر ، وقت تأسيس القاهرة نفسها وهو اول أثر فاطمي انشأه القائد جوهر بامر مولاه المعز لدين الله ، وقد اقيم هذا الجامع اول الامر ليكون مسجدا جامعا للقاهرة الفاطمية وليقوم مقام الجامع الطولوني ، وجامع عمرو ولكنه اصبح بعد ذلك مدرسة يتلقى فيها الطلاب اصول المذهب الشيعي (مذهب الفاطميين) .

وقبل البدء بالحديث عن الازهر ، لابد من الكشف عن الشخصيتين الهامتين ـ جوهر الصقلي ـ والمعز لدين الله ـ لعلاقتهما الوثيقة بقيام هذا الصرح الجامع واقتران اسمهما كلما ذكر اسم الازهر .

كان جوهر الصقلي (الياس الصقلي)[٢٠] فاتح مصر من اعلام الدولة الفاطمية ، وأقطاب مؤسسيها ، ولد بجزيرة صقلية ، ومع انه رومي الاصل الا

---

(١٦) محمد كامل حسن : في آداب مصر الفاطمية ص ٤٤ .

(١٧) القلقشندي : صبح الاعشى جـ٣ ص ٥٢٠ ، وجمال سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ص ٨٥ .

(١٨) ستانلي لينبول : سيرة القاهرة ص ١١٩ وما بعدها .

(١٩) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة : جـ ٤ ص ١٥٨ .

(٢٠) دائرة المعارف المجلد الثاني ص ٥١ (مادة جوهر الصقلي) .

انه نشأ نشأة اسلامية خالصة ، فمن المعروف ان الاسلام دخل جزيرة صقلية عام (٢١٢ هـ) وكانت ولادة جوهر (٣٠٠ هـ) ويرجح المؤرخون ان ابـــاه كان مسلما[٢١] .

اتصل جوهر ببلاط المعز ويظهر انه كان في حاشيته العسكرية وقد قربه الخليفة الفاطمي لما توسمه فيه من اخلاص ولمواهبه الفذة وثقافته الواسعة ، فقد درج في مناصب الدولة ، دولة المعز ــ حتى اتخذه كاتبا له سنة توليته الخلافة (٣٤١ هـ)[٢٢] ، ثم رقاه لمنصب الوزارة، وولاه قيادة جيش كبير لتوسيع منكه في شمال افريقية ، ووصل جوهر بفتوحاته الى شاطيء المحيط الاطلسي ، ولما فكر المعز في فتح مصر ندب جوهر لهذه المهمة ، وكان ذلك سنة(٣٥٨هـ)[٢٣]، واصحب معه المعز من الاموال والخزائن ما لا يحصى وضعت في صناديق بلغ مجموعها ألفا ومائتي صندوق حملت على الجمال واطلق يده في جميع ذلك ، حتى ان شاعر الاندلس محمد بن هانيء قال قصيدته المشهورة في جوهر بهذه المناسبة ومطلعها :

رأيت بعيني فوق مـــا كنت أســـــمع
وقـــــد راعني يوم من الحشر اروع[٢٤]

وقدم مع جوهر الى مصر قبيلة كتامة[٢٥] وهي الاساس الذي قامت عليه دولة الفاطميين ، وعند وصوله الى مصر عقد صلحا بين المصريين والفاطميين وفي هذا الصدد يقول العقاد : « لما دخل جوهر مصر ، طلب منه وجوه الامـــــة ورؤساؤها قبل التسليم ان يؤمنهم على عقائدهم ومألوفاتهم ، فكتب لهم عهـد

---

(٢١) علي ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلي ص ٦٨ طبعة ١٩٦٣ .
(٢٢) عبدالحميد يونس ، وعثمان توفيق ، الازهر ص ٢٢ .
(٢٣) ينفرد زكي محمد حسن في كتابه كنوز الفاطميين ص ٧ ، يجعل فتح مصر سنة ٣٥٧ .
(٢٤) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٢٩ .
(٢٥) وهي قبيلة بالمغرب اصلها من الحجاز كانت لهم حارة بمصر تسمى حـارة كتامة ، الجبرتي (عجائب الآثار في تراجم الاخبار) جـ١ .

أمانة[٢٦] وسار الى جامع ابن طولون وأمر بأن يؤذن فيه ، وقطع خطبة بني العباس[٢٧] عن المنابر ، ومنع كتابة اسمهم على السكة ، ولبس السواد ولبس الخطباء البياض .

وبدأ يعمل على بث الدعوة في مصر للمعز الفاطمي اولا ولاهل بيته من العلويين عامة ، واختط مدينة القاهرة المعزية ، وبنى الجامع الازهر موضوع بحثنا ، الذي قدر له ان يشاطر المدينة العظيمة حياتها المديدة وان يبقى على مر الدهور أثرا خالدا للدولة .

كتب جوهر الى مولاه المعز يبشر بالفتح ، واستمر حاكم الديار المصرية الى ان قدم المعز لدين الله سنة ٣٦٢هـ ، وصار جوهر من عظمـــاء القواد في دولته .

واستمر في عهد العزيز على مكانته في الدولة ، الى ان مات بعـد ان خاض عدة معارك مع القرامطة في الشام ، وقام بعدة اعمال عمرانية منها عمارة القناطر والجسور في مصر واصلاح خراجها فبلغ خراج مصر في ايامه ألف ألف دينار ومائتي الف دينار[٢٨] ، علاوة على بنائه الجامع الازهر ، توفي عام٣٨١هـ وقد جاوز الثمانين وخلع العزيز على ولده الحسين وعينه مكان ابيه في القيادة ولقبه « بالقائد ابن القائد »[٢٩] وكان قائد القواد في زمن الحاكم بامر الله ثم نقم عليه فقتله سنة (٤٠١هـ)[٣٠] .

قيل ان جوهرا حين دخل مصر سنة ٣٥٨هـ بعسكر ضخم وجدها لا تتسع للجند والناس ، فأختط سور القاهرة وبنى بها القصر وسماها المنصورية تقربا

---

(٢٦) العقاد : فاطمة الزهراء والفاطميون ص ١٩٠ .

(٢٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ١ ص٣٧٩ : وابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٣٢–٣٣ .

(٢٨) ابن اياس تاريخ مصر ص ٤٦ .

(٢٩) ابن خلكان (وفيات الاعيان) جـ ١ ص ١٤٧ وما بعدها ، المقريزي الخطط جـ ٤ ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٣٠) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٣٣ .

الى خليفته المعز واحياء ذكرى والده المنصور[٣١] . فلما قدم المعز من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة[٣٢] تفاؤلا بأنها ستقهر الدولة العباسية المنافسة ، أو انها تقهر من شذ عنها او حاول الخروج على اميرها[٣٣] .

قدم المعز الى مصر بأهله وبطانته وجيوشه ، ودخل القاهرة عام ٣٦٢ هـ ونزل في القصر الكبير[٣٤] ، وقيل ان المعز عند قدومه مصر ، أحضر معه أجساد آبائه في توابيت من خشب من بلاد المغرب ودفنهم بالقرافة الكبرى التربة المعزية ، واستمرت مدفنا للخلفاء واولادهم ونسائهم ، وكانت تعرف بتربة الزعفران ، وهي مكان كبير من جملتها الخط المعروف[٣٥] بخان الخليلي .

والمعز لدين الله هو أبو تميم معد ، ولد عام ٣١٧ هـ بالمهدية عاصمة الدولة الفاطمية بالمغرب ، غير القيروان ، تولى الخلافة وهو فتى في الرابعة والعشرين من عمره ، وطد ملكه في بلاد المغرب ودان له جميع رؤساء القبائل المغربية ، ووصل ملكه حتى شواطيء المحيط الاطلسي .

كان المعز مثل سلفه من الخلفاء الفاطميين في المغرب اول الامر يعيش عيشة تقشف وكان يمقت حياة الترف[٣٦] ويقيم بالمهدية في حجرة متواضعة ، ولكن المعز واخلافه بعد انتقالهم الى مصر تغيروا تغيرا كبيرا ، ومالوا الى البذخ ولين الحياة ، بحيث ان بلاطهم في القاهرة نافس بلاط بغداد .

---

(٣١) المقريزي اتعاظ الحنفا ص ١٥٨ .

(٣٢) خسرو ، سفرنامة ص ٤٧ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ٤ ص٤١ . اختلفت الروايات في سبب التسمية .

(٣٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦٢ ، وحسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩ .

(٣٤) القصر الشرقي الكبير هو الذي تم بناؤه ، اما القصر العربي الصغير المواجه له فقد بنى في عهد العزيز بالله . محمد عبدالله عنان . تاريخ الجامع الازهر ص ٣٤ .

(٣٥) اتعاظ المقريزي الحنفا ص ١٨٦ ، وستانلي ص ١٢٣ وابن اياس جـ ١ ص ٢٦ .

(٣٦) ستانلي ، سيرة القاهرة ص ١٣١ .

يقول ابن عنان : عندما قدم المعز الى مصر كان يتسم بصفة الامامة[٣٧] فنجده يلقي الخطبة بنفسه متخليا بعض الشيء عن صفة الخلافة ، ونجده اثناء قيامه بواجباته الدينية حريصا على امامته ، يحاول التشبه بالنبي والخلفاء الراشدين[٣٨] ، وكذلك يبدو في مواكبه وشعائره الدينية اماما دينيا أكثر منه ملكا ، وكان نقش خاتمه يحمل شعار دولته وهو « لتوحيد الاله الصمد ، دعا الامام معد ، لتوحيد الاله العظيم دعا أبو تميم »[٣٩] .

ان مدة ولاية المعز ثلاثة وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصف ، ثلاث سنين منها بمصر ، وباقي ولايته كانت بالمغرب[٤٠] ، بينما يذكر ابن ميسر ان مقام المعز بمصر سنتين وسبعة أشهر وعشرة أيام[٤١] ، ويجعلها ابن أياس اربع سنين وشهرا ويومين[٤٢] وباستطاعتنا معرفة مدة حكمه في مصر اذا علمنا ان دخوله مصر كان سنة ٣٦٢هـ وتاريخ وفاته ٣٦٥ هـ . اذن فان رأي ابن ميسر هو الارجح .

كان عهد المعز لدين الله في مصر على قصره من ازهى عصورها ازدادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة فقد كانت ثروة الاسرة المالكة[٤٣] في زمن المعز وبعده فوق ما يتصور ، وكان هو عادلا عاقلا شاعرا[٤٤] ، بذل ما في وسعه في استجلاب محبة الناس واحترامهم له بعدله ، وحسن ادارته ، وزاد من محبتهم

---

(٣٧) عنان ، تاريخ الجامع الازهر ص ٣٥ .

(٣٨) عبدالحميد يونس وعثمان توفيق ، الازهر ص ٣١ .

(٣٩) عنان ، تاريخ الجامع الازهر ص ٣٥ .

(٤٠) النجوم الزاهرة جـ٤ ص٧٧ ، وحسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ص١٥٥ .

(٤١) ابن ميسر اخبار مصر جـ ٢ ص ٤٧ .

(٤٢) ابن أياس تاريخ مصر ص ٤٨ .

(٤٣) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، يذكر ان احدى بنات المعز ماتت وتركت وراءها ما يعادل ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار واخرى تركت خمسة اكياس من الزمرد ومقادير كثيرة من الاحجار الكريمة .

(٤٤) ابن اياس تاريخ مصر ص ٤٨ .

له ارساله كسوة فاخرة للكعبة كل عام ، ومنع جنده من البقاء في المدينة بعد الغروب اجتنابا لما عساه أن يحدث من الهياج ، والغى نظام جبـــاية الخراج بواسطة الملتزمين .

عمارة الازهر في عهد الدولة الفاطمية :

سبقت نشأة الجامع الازهر في مصر جوامع أخرى كثيرة أهمها جامـــع عمرو في الفسطاط ، الذي بني (سنة ٢١ هـ) وهو اول مسجد بني بالديار المصرية . وقد عرف بعدة اسماء منها : الجامع العتيق ، وجامع عمرو ، وجامع مصر ، وجامع اهل الراية ، وتاج الجوامع ، وخطب جوهر للمعز اول الامر في جامع عمرو في سنة ٣٥٨ هـ بعد استيلائه على الفسطاط بأيام قليلة[٤٥] .

أما جامع العسكر فيقع في مدينة العسكر التي انشأها عام ١٣٣ هـ صالح بن علي العباسي وتقع الى الشمال الشرقي من القسطاط ، ليكون مقـرا للامراء ومعسكرا لجيوشهم على عهد آخر خليفة أموي[٤٦] .

والجامع الثالث هو جامع ابن طولون (١٥٦ هـ) بالقطائع ، ويعتبر جامع ابن طولون اليوم اقدم مسجد احتفظ بتفاصيله المعمارية بمصر ، وقد تأثـر بالعمارة العراقية ، فقد حمل معه هندسة العمارة العراقية في التصميم والزخارف وفي منارته ذات السلم الخارجي .

وقد بقي جامع عمرو وجامع ابن طولون مع الجامع الازهر مراكز للدعاية لقصائد العلويين الفاطميين ودعوتهم ، وكانت الدعوة لهذا المذهب تذاع على يد داعي الدعاة ومن يعاونه من الدعاة[٤٧] .

وقد اتبع الفاطميون التقاليد الاسلامية في بناء المساجد ، وهذا التقليد يقضي باقامة مسجد جامع في عاصمة كل اقليم يفتحه المسلمون في كل مدينة

---

(٤٥) ابن خلكان الاعيان وفيات الاعيان جـ ١ ص ١٤٩ .

(٤٦) حسن عبدالوهاب : تاريخ المساجد الاثرية جـ١ ص٥١ .

(٤٧) المقريزي اتعاظ الحنفا ص ١٦٨ وعلي ابراهيم حسن : تاريخ جوهـــر الصقلي ص ٦٨ .

جديدة يشيدونها ، كما كان تشييد المسجد الجامع رمزا لسيادة الاسلام الروحية ، ورمزا لسيادة دعوة دينية جديدة هي الدعوة الشيعية ، ولما دخل القائد جوهر مصر شرع في بناء الازهر ليكون المسجد الرسمي للمدينة الجديدة[٤٨] .

وجامع الازهر كان يسمى احيانا مصلى ، حتى بعد قدوم المعز للقاهرة ، يذكر المقريزي نقلا عن ابن زولاف[٤٩]: « وركب المعز يوم الفطر لصلاة العيدالى مصلى القاهرة الذي بناه جوهر » .

ان الجامع الذي نراه اليوم ليس كله بالجامع الفاطمي الذي وضع اساسه جوهر ، بل هو مجموعة من الآثار ضمت اليه في أزمنة مختلفة ، وهذه الزيادات التي اضيفت الى الجامع جعلت معرفة التخطيط الاصلي للجامع من الامور الصعبة[٥٠] التي يتعذر الاهتداء اليها ، ومساحة الجامع الاول تقرب من نصف سطحه الحالي[٥١] وكان يشغل المساحة الواقعة بين خان الخليلي وحي الحسين الى شارع الجمالي[٥٢] .

والاسم الذي اطلق على هذا المسجد هو (جامع القاهرة) نسبة الى العاصمة الجديدة ، أما تسميته بالازهر فقد بدأت[٥٣] متأخرة وظل الاسمان يطلقان على هذا المسجد عدة قرون ، ثم اختفت التسمية الاولى واصبح الازهر هو الاسم الابقى . وقد جاءت هذه التسمية نسبة الى القصور التي كانت تحيط به وتعرف بالقصور الزاهرة ، او اشتقاقا من اسم فاطمة الزهراء التي

---

(٤٨) فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها جـ ١ ص ٥٥ .

(٤٩) ابن زولاق (المؤرخ المعاصر للمعز) . المقريزي اتعاظ الحنفا ص ١٩٠ .

(٥٠) سعاد ماهر ، القاهرة القديمة واحياؤها ص ٢٣ .

(٥١) كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية في مصر ص ٥١ ، وعبدالرحمن زكي، الازهر وما حوله من آثار ص ٢٤ .

(٥٢) ستانلي ، سيرة القاهرة ص ١٢٧ .

(٥٣) محمد عبدالعزيز مرزوق ، مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ص ٥٥ .

ينتسب اليها الفاطميون[٥٤] . وقيل : لما دخل المعز القاهرة جلس على عرشه في القصر الشرقي الذي اعده له جوهر الصقلي وتقدم جوهر خطيبا ومرحبا بقدومه الى مصر قائلا :

« وبنيت لك مسجدا جامعا سميته الجامع الازهر تعلقا بأمكم الاولى فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) تقام فيه الصلوات ويذكر فيه اسم الله ويكون محل اشعاع العلم والمعرفة »[٥٥] .

او ربما جاءت هذه التسمية لان جوهرا أعتبر هذا الجامع اكثر الجوامع فخامة ورواء او للتفاؤل بأنه سيكون اعظم المساجد ضياء ونورا[٥٦] او لما سيبلغه هذا المسجد بازدهار العلوم فيه وانه سيغدو مركزا للاشعاع الديني والفكري في العالم الاسلامي[٥٧] ، واعتقد ان هذا السبب هو الارجح . وجاء في ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ان معنى الازهر ، هو الابيض يشوب بياضه زرقة خفيفة ، وعلى هذه الطريقة سموا الجامع الاقمر الذي بناه الآمر باحكام الله[٥٨] .

وكان جوهر قد حرص على ان يكسو جدران بيت الصلاة وعقوده بطبقات من الزخارف محفورة على الجص بحيث كان هذا البيت يبدو كأنه مرتد عباءة ناصعة البياض محلاة اطرافها وحوافيها بديباج زاهي الالوان[٥٩] .

بدىء العمل في المسجد الازهر عام ٣٥٩ هـ وتم البناء في شهر رمضان من سنة ٣٦١ هـ واقيمت به اول صلاة للجمعة في اليوم السابع من ذلك الشهر، وهو اول عمل فني معماري اقامه الفاطميون[٦٠] .

---

(٥٤) المقريزي ، خطط جـ٢ ص١٨١ .
(٥٥) علي الجوسي : المعز لدين الله الفاطمي ص ٦١–٦٢ .
(٥٦) محمد عبدالمنعم خفاجي ، الازهر في الف عام ص ١٦ .
(٥٧) ابحاث الندوة جـ١ ص ٨١ .
(٥٨) المصدر السابق ص ١٢٦٧ – ١٢٦٨ .
(٥٩) احمد فكري : مدارس القاهرة ومساجدها جـ ١ ص ٥٥ .
(٦٠) سليمان رصد الحنفي ، كنز الجوهر في تاريخ الازهر ص٢٢ وما بعدها.

ويشتمل الازهر على مكان مسقوف للصلاة يسمى المقصورة وآخر غير مسقوف[٦١] يسمى صحنا مرصوف بالحجر تحيطه اربعة اروقة اكبرها رواق القبلة • وعقود الاروقة ترتكز على اعمدة من الرخام مختلفة الطراز ، ويرجع تاريخها الى اواخر الدولة الفاطمية[٦٢] • أما المقصورة التي بناها جوهر ، ففيها ستة وسبعون عمودا من الرخام الابيض اللون في صفوف متوازية ، وفي سنة ١١٦٧ هـ بنى الامير كتخدا مقصورة ثانية بها خمسون عمودا من الرخام ، وبذلك اصبح للجامع مقصورتان عدد اعمدتهما مائة وستة وعشرون عمودا ما عدا الاعمدة الموضوعة بحلقات الجامع • ويشير المقريزي الى وجود قبة تعلو المنطقة المربعة التي تتقدم المحراب في المسجد كتب بطراز القبة ما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر ببنائه عبدالله ووليه ابو تميم معد الامام المعز لدين الله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك سنة ستين وثلثمائة »[٦٣] •

ويشطر الايوان الشرقي مجاز قاطع يجري عموديا ويتجه من الصحن الى المحراب[٦٤] ارتفع سقفه وارتفعت عقوده عن مستوى ارتفاع الايوان كله وهذا المجاز هو الاول من نوعه في مساجد القاهرة ، ويلاحظ ان عقود المجاز هي القديمة في الايوان كله • وحليت حافات عقود المجاز بآيات قرآنية بالخط الكوفي ، كما حليت واجهات عقوده بالزخارف النباتية المؤرقة[٦٥] وفتحت أعلى الجدران شبابيك جصية بأشكال هندسية • والظاهر ان هذه الشبابيك كانت لدخول الهواء والنور ، ولا تزال بقاياها موجودة في جدران ايوان القبلة[٦٦] ،

---

(٦١) مرزوق ، مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ص ٥٥ .

(٦٢) المقريزي ، خطط جـ٤ ص٤٩ ـ ٥٠ ، وسامح العمارة الاسلامية في مصر ص ٢٢٦ .

٦٣) سامح ، العمارة الاسلامية في مصر ص ٥١ .

(٦٤) ابو صلاح الالفي ، الفن الاسلامي ص ١٨٠ وفكري ، مساجد القاهرة جـ١ ص١٨ .

(٦٥) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها جـ١ ص١٨ .

(٦٦) المصدر السابق . ص ١٨ .

كما ابقى الزمن على كثير من الزخارف الجصية والكتابات الكوفية بعقود المجاز الاوسط وبعقود طاقية المحراب القديم ، وزخارف نراها بنهايتي حائطي رواق القبلة الشرقي والبحري[٦٧] .

وجاء في مصادر عدة وجود منارة واحدة للازهر[٦٨] عند انشائه كانت تقوم على الباب العمومي ، بينما ينفي آخرون وجودها ويتساءلون لو كانت هناك مئذنة فأين كان موقعها ؟ . فمرزوق وسامح[٦٩] ينفيان وجود منارة ترجع للعصر الفاطمي .

ويقول سامح ان المآذن الحالية تنسب للسلطان قايتباي والسلطان الغوري وللامير كتخدا (احد امراء القرن الثامن عشر الميلادي) . اما فكري[٧٠] فيؤيد وجود المئذنة بقوله « جددت مئذنة الازهر في عهد الحاكم بامر الله » .

واني لم أجد في كتاب فريد شافعي بين مصورات المآذن[٧١] ما يدل على وجود مئذنة للازهر ، او ربما كانت هناك مئذنة ولكنها اندثرت في وقت مبكر ، وقد جاء في كتاب (الازهر ، تاريخه وتطوره : « انها كانت قائمة فوق مدخله الغربي وكانت متأثرة بمنارات تونس[٧٢] ، ثم اصبح للازهر فيما بعد خمس منارات يؤذن عليها في اوقات الصلاة وكانت معرفة الاوقات تهتم بالنظر في المزولة التي لا تزال قائمة على احد جدران صحن الازهر ، وكانت مساجد القاهرة الاخرى تتبع في الآذان أصوات مؤذني الازهر» .

---

(٦٧) ابو صلاح الالفي الفن الاسلامي ص ١٨٠ .

(٦٨) محمد عبدالعزيز مرزوق مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ص٥٥ ، وسامح العمارة الاسلامية في مصر ص ٥١ .

٦٩) محمد عبدالعزيز مرزوق مساجد القاهرة مثل عصر المماليك ص٥٥ وسامح العمارة الاسلامية في مصر ص ٥١ .

(٧٠) فكري ، مساجد القاهرة جـ١ ص ٤١ .

(٧١) فريد شافعي ، مئذنة ابن طولون (عن كريزول وفيت) ص ٥٠ .

(٧٢) وزارة الاوقاف وشؤون الازهر (الازهر تاريخه وتطوره) ص١١١ ، مقدمة للدكتور محمد البهي .

وانشأ جوهر بالمقصورة محرابا يسمى الآن (القبلة القديمة) وهـذا المحراب من عهد المعز ، مجوف يتكون من طاقة تتوجها نصف قبـة محلاة بالزخارف الجصية ، والمحراب الاصلي القديم في المقصورة القديمة يعلوه قبة مرتفعة ، وبأعلاه عن يمين المصلى صندوق موضوع على رف يقال انه قطعة من « سفينة نوح » عليه السلام ، وقطعة من جلد بقرة بني اسرائيل ، وقيل ان لذلك سرا عجيبا في عمارته[٧٣] كما كان في المحراب منطقة فضة فاقتلعهـا صلاح الدين بعد سقوط الدولة الفاطمية[٧٤] .

ولقد بقي المحراب محتجبا سبعة قرون حتى اكتشفه سنة ١٩٣٣ م[٧٥] وكان مغطى بغطاء خشبي فظهر باتزاعه زخارف ونقوش فاطمية يرجح انهـا ترجع الى عهد انشاء المسجد[٧٦] . ويمتاز المحراب بزخارف وكتابات تنطق عن روعة وجمال[٧٧] ، والمحراب موجود في دار الآثار العربية ومنقوش عليـه بالخط الكوفي المشجر « بسم الله الرحمن الرحيم ، حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين .. »

أمر بعمل هذا المحراب المبارك ، برسم الجامع الازهر سيدنا المنصور ابو علي الآمر باحكام الله[٧٨] ومصنوع من الخشب سـجل عليه تاريخـه ٥١٩ هـ[٧٩] ثم اقيمت في الازهر تسعة محاريب لم يبق منها سوى ستة اشهرها اثنان ، احدهما بالمقصورة القديمة ، والآخر بالمقصورة الجديدة ولكل منهما امام يخالف صاحبه في المذهب الفقهي . وكان لهذا الجامع منبر واحـد من

---

(٧٣) علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة جـ٢ ص ٩٠ .
(٧٤) محب الدين الخطيب ، الازهر ماضيه وحاضره والحاجة الى اصلاحه ص٩.
(٧٥) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الاثرية جـ١ ص ٥١ .
(٧٦) محمود أبو العيون ، الجامع الازهر ، نبذة في تاريخه ص ١١ .
(٧٧) فكري ، مساجد القاهرة جـ١ ص٥٧ .
(٧٨) المصدر السابق ص ٤٢ .
(٧٩) عبدالرحمن زكي ، الازهر وما حوله ص ٢٥ .

الخشب المخروط الجميل الصنع وقد نقل المنبر الاصلي الذي انشأه جوهر الى الجامع الحاكمي[٨٠] .

وشيد جوهر للازهر ثلاثة ابواب في جدرانه القبلية والبحرية والغربية[٨١] ومن التحف التي يمكن نسبتها الى هذه الفترة باب ذو مصراعين من الخشب تركي وهو محفوظ بدار الآثار العربية واصله من الجامع الازهر من عهد الحاكم بامر الله[٨٢] نقشت عليهما كتابة كوفية على كل مصراع سطران فيها ونصها « مولانا أمير المؤمنين ، الامام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه » .

ولم تمض اربع سنوات على انشاء المسجد الازهر حتى امر الخليفة العزيز بالله باصلاح ما كان من عمارته يتطلب الاصلاح او التجديد[٨٣] ثم جدده الحاكم بامر الله حوالي سنة ٤٠٠ هـ . وكذلك جدد المستنصر بالله المسجد اثناء خلافته ٤٢٧هـ ـ ٤٨٧ هـ واغلب الظن ان عمارة المسجد وزخرفته بقيتا حتى ذلك التاريخ محتفظتين بحالتهما الاولى لم يطرأ عليهما تغيير[٨٤] .

ولما تولى الخلافة الحافظ لدين الله سنة ٥٢٢هـ جدد في الازهر ابنيته وانشأ فيه مقصورة (فاطمة الزهراء) التي تجاور الباب الغربي في مقدمة الجامع بداخل الاروقة ، وقال بعض علماء الآثار انه اضاف رواقا يحيط بالصحن من جوانبه الاربعة ، مكونا من عمد رخامية ، فوقها عقود فارسية الطراز وقبة رشيقة بأول المجاز[٨٥] تسمى قبة البهو . وقد بقيت قبة البهو هذه التي اقيمت في عهد الحافظ لدين الله ، وهي عنصر هام من عناصر عمارة المسجد ، وتحتفظ

---

(٨٠) المصدر السابق .

(٨١) المصدر السابق .

(٨٢) زكي محمد حسن ، كنوز الفاطميين ص ٢٠١ .

(٨٣) احمد فكري مساجد القاهرة جـ١ ص ٤١-٤٢ .

(٨٤) المصدر السابق .

(٨٥) دائرة المعارف ، مادة الازهر وحسن عبدالوهاب العمارة الاسلامية ص٣١٤ .

بالزخارف البديعة التي نقشت عليها من الداخل عند انشائها في عهد الحافظ لدين الله وصفها كريزول ، بأنها زخارف فريدة في نوعها ، وقد نقشت عليها آيات قرآنية بالخط الكوفي المزهر تزهيرا خفيفا(٨٦) .

اما مادة البناء التي استعملت لبناء الجامع الازهر ، فقد بنيت جدران المسجد الفاطمي من الآجر ، وكذلك بنيت عقوده وقبابه ، ودعاماته والمعروف ان عمده جميعا وتيجانها على عادة البناء في المساجد الاولى ، جلبت من آثار قديمة سابقة . ويقول احمد فكري ليس لبنائيه الاوائل فضل في صياغتها، واقتصر فضلهم على تنسيق هذه الاعمدة القصيرة فوق الاسس واعدادها لحمل العقود(٨٧) .

وتعاقبت الزيادات على البناء الاصلي ، وغدا يشكل مساحة قدرها (١٢٠٠٠) مترا مربعا ، وبلغ عدد اعمدته ثلاثمائة وخمس وسبعين ، وزاد في بناء هذا الجامع كثير من الامراء الذين حكموا مصر بعد المعز ، وانشأوا فيه مساكن للطلاب ، تحيط بالمقصورة والصحن من الجهات الاربعة ، وكان العزيز بالله الفاطمي اول من ابتنى بجواره دارا لجماعة من الفقهاء عدتهم خمسة وثلاثون فقيها اجرى عليهم الارزاق(٨٨) ، وقد وقف عليه الحاكم بأمر الله ، وخصه بوقفية كبيرة وزعت على مرافقه وشؤونه وهذه اول وقفية خليفية خاصة رتبت للجامع ، وخصص له تنورين وسبعة وعشرين قنديلا من الفضة للاضاءة في شهر رمضان(٨٩) على ان تعاد لحفظها في مكان خصص لها ، والى

---

(٨٥) حسن عبدالوهاب : العمارة الاسلامية ص ٣١٤ ، ودائرة المعارف ، مادة الازهر .

(٨٦) كريزول : العمارةالاسلامية جـ١ ص ٢٥٥ ، وفكري مساجدالقاهرة ومدارسها جـ ١ ص ٥٨-٥٩ .

(٨٧) ابحاث الندوة الدولية جـ٢ ص٨٦٤ (تشييد مدينة القاهرة كريزول) وحسن عبدالوهاب : العمارة الاسلامية ص ٢٢٥ ، واحمد فكري ، مساجد القاهرة ص ٥١ .

(٨٨) المقريزي خطط جـ٢ ص ٢٢٦ .

(٨٩) التنور : مصباح نحاسي متعدد الطبقات ، السيوطي : حسن المحاضرة ص ٢٥١-٢٥٢ وعنان : تاريخ الجامع الازهر ص٢٧٢ .

وقت الحاكم بامر الله كان له صهريج وساقية ، كما حبسوا عليه كثيرا من الاوقاف واهدوا اليه الهبات الجليلة فأستغنى بذلك ، وقد حبس الحاكم بعض املاكه من دور وحوانيت ومخازن لينفق من ريعها على الجامع الازهر[٩٠] .

وقد وقعت على الجامع تأثيرات تونسية قدم بها جوهر والمعز فقد تأثر باسلوب جامع القيروان ، ولكن هذه التأثيرات التونسية جزئية منها ما هو في المسميات ومنها ما هو في العمارة ، ويلاحظ في عمارة المساجد التي انشأها الفاطميون في مصر ومنها الازهر ، نراها تارة متأثرة بالعمارة المهدية المغربية ، وتارة اخرى بأسلوب الطولوني ، فقد اهتم الفاطميون بواجهات مساجدهم منذ وجودهم بشمال افريقية ، ويتضح ذلك من واجهة جامع المهدية[٩١] وبوابته الضخمة كما ان القباب الفاطمية التي كانت فوق المحراب ، لعلها كانت متأثرة بالقباب التونسية ، وقد هدمت جميعها ، فقد حدث زلزال عنيف ضرب قسما كبيرا من مصر والشام ، وكانت ذلك سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢م) واصاب الازهر وبعض مساجد القاهرة بأذى هذا الزلزال[٩٢] . ثم جدد ما تصدع من بنيانه، وبنيت حوله المدارس التي لحقت به فيما بعد ولا تزال تابعة له الى اليوم .

دور الازهر الثقافي :

لم يكن الازهر ذلك البناء الذي وضع اساسه جوهر مع مدينة القاهرة الا رسالة دينية علمية اسلامية ، وزاد من شأن القاهرة ثقافة وحضارة وخدم الاسلام جميعا ، وكان له الاثر الواضح في تنمية الحياة العقلية والفكرية . تخرج منه علماء الدين واللغة ، ولم يكن له أثر في توجيه الحياة السياسية في بداية نشأته مثل ما ظهر له ظهوراً جليا في الدولة المصرية فيما بعد .

---

(٩٠) المقريزي خطط جـ٤ ص ٤٩ ـ ٥٠ و ص ٨٤ .

(٩١) نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ص٨٣.

(٩٢) عبدالرحمن زكي : الازهر وما حوله ص ٢٧ .

ولم يقتصر دور الازهر الثقافي على العلوم الدينية واللغوية فقط بل كان علماء المسلمين في عصر ازدهار الاسلام يدرسون جميع انواع العلوم والفنون فكان منهم المؤرخ ، والطبيب ، والفلكي ، والمهندس ، والجغرافي والمؤرخ والرحالة وكثيرون غيرهم ، وكانوا يسمون علم الفلك (بعلم التركيب) ، وعندما تدهورت دار الحكمة اتجهت هذه العلوم الى الازهر(٩٣) .

وفي اواخر الدولة الفاطمية كادت تكون الدراسة في الازهر حرة(٩٤) . واسهم علماء الازهر في جميع هذه العلوم والمعارف ، بالبحث والتأليف وكانوا يحرصون على دراستها حتى في اشد عهود التدهور والجمود . وان كان هذا في نطاق يضيع ويتسع تبعا لتأخير الثقافة وتبعا لازدهار المدنية ، وكانت مباديء التعليم الاولية تتألف في الاساس من احكام الشريعة ، اما علم الكلام فلم يكن يدرس الا للمتبحرين ، وكانت هذه المحاضرات تلقى على اسماع المؤمنين ايام الخميس او الجمعة من كل اسبوع(٩٥) .

وكانت دروس الحكمة تعقد في الازهر ، ودروس الحكمة هذه هي ابحاث في صميم الدعوة ، وكان يقوم بالقاء هذه الدروس ايام المعز(٩٦) بنو النعمان وهي قراءة آل البيت والتفقه ، وكانت تعقد للخاصة (منه المتضلعين في العلم واعضاء البلاط) ، ثم لونت فعقد بعضها للعامة ، وبعضها للنساء ومنها للغرباء ، وكانت الدعوة تنظم طبقا لمستوى الطبقات والاذهان(٩٧) وكان كبير الدعاة يعد نص المحاضرة ، ويتلقى الخليفة صورة منه فيمهرها بتوقيعه او يتولى القاء المحاضرة بنفسه في بعض الاحيان(٩٨) .

---

(٩٣) الكندي : الولاة والقضاة في مواضيع متعددة .

(٩٤) محمود ابو العيون : الجامع الازهر ، نبذة في تاريخه ص ١٩ .

(٩٥) ابحاث الندوة جـ٢ ص ٦٠٢ .

(٩٦) اشهرهم ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي المتوفى ٣٦٣ هـ . وعنان : تاريخ الجامع الازهر : ص٤١ .

(٩٧) المقريزي الخطط : جـ٢ ص ٢٢٥ .

(٩٨) ابحاث الندوة جـ٢ ص ٦٠٢ .

ورغب الفاطميون في جعل المسجد من الاهمية وعظم الشأن بحيث يجتذب طلاب العلم من كافة ارجاء البلاد الاسلامية ، ولما كان الازهر مسجدا رسميا للدولة الفاطمية ، كانت الدولة تتولى الانفاق عليه فقدمت لهم المأكل والمشرب والمسكن من غير اجر[٩٩] ، وكان للطلبة أيضا ارزاقا تشجيعا للعلم ولم تفرق بين جنس وآخر حتى يؤدي المسجد رسالته في نشرالدين .

وكان هناك مصدر آخر لتمويل الحركة التعليمية في الازهر ، فبعد أن تم بناؤه ، حبست عليه من المتبرعين الخيرين بعض مصادر الثروة للانفاق على شؤون التعليم فيه سواء ما يتعلق بالمدرسين أو بالطلاب وهي ما تسمى الاوقاف (الاحباس) التي تحبس على الخير العام ، كما فعل ابن كلس ، فلما انشئت به الحلقات الدراسية الاولى في عهد العزيز بالله ، رتب العزيز من ماله او من مال الدولة ، ارزاقا خاصة للاساتذة الذين يتولون الدراسة فيه ، كما سبق ذكره ، واما الصدقات فتشمل نصيب الازهر من الاعطية والصدقات الخليفية وغيرها ، فما كان يوهب ويعطى في مختلف المناسبات والمواسم وكانت الصدقات عامة وخاصة ، مالية ونوعية معا ، فكانت تشمل نصيب الازهر من مال النجوى (وهي جعل اختياري قدره ثلاثة دراهم وثلثا) ، وروايات اخرى تجعلها ثلاثة دراهم ونصفا[١٠٠] تؤدى الى داعي الدعاة من شاء من المستمعين لمجالس الحكمة ، وتشمل أيضا كل ما يجود به الكرماء من المال لهذا الغرض ، واما الصدقات النوعية فكانت كثيرة وتشمل[١٠١] توزيع اولي الامر والكبراء من الاطعمة والحلوى ، على الطلبة والمساكين بالازهر.

واتخذ علماء الدين واللغة والادب ، حلقات علمية منظمة وفي هذه الحلقات تخرج معظم المحدثين والفقهاء بمصر في القرن الرابع الهجري ، فقد جاء قوم من علماء المغاربة في ركب المعز ، ومن اشهرهم النعمان بن محمد الذي تولى القضاء

---

(٩٩) عبدالحميد يونس ، وعثمان توفيق ، الازهر ص ٣٢ .

(١٠٠) المقريزي الخطط جـ١ ص٣٩١ ، وعنان ، تاريخ الجامع الازهر ص٨٢.

(١٠١) المقريزي : خطط جـ٢ ص ٢٥٢ .

في مصر واولاده واسرته عهدا طويلا ، في ظل الحكم الفاطمي ، زهـــاء نصف قرن[١٠٢] وكانت هذه الاسرة تقوم بالقضاء والتأليف في المذهب الشيعي وتتخذ من الازهر مكانا مختارا لنشاطها العلمي وقد وضع ابو حنيفة النعمان بن محمد القيرواني قاضي المعز في فقه آل البيت ، وكان يتولى قراءته وتدريسه بالازهر ولداه ابو الحسن علي بن النعمان ، واخوه محمد وكان بنو النعمان يجيدون مذهب الدولة الحاكمة ، ويجيدون تبليغه للناس[١٠٣] ، ومن مؤلفات ابي حنيفة في الوعظ ذلك الكتاب الفخم (المجالس والمسايرات) ويقع في ثلاث مجلدات ويعد أحسن ما ألف في وصف حياة الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب ، وقـد تناول فيه حياة الخلفاء الاربعة هم ، المهدي ، القائم ، المنصور ، المعز خاصة ، واتباع المذهب الاسماعيلي يعدون هذا الكتاب من أهم مراجعهم الدينية ، وكان للنعمان القيرواني ، كتب اخرى في فقه الامامية (الشيعية) منها كتاب (دعائم الاسلام) الذي عنيه بتدريسه في الازهر فيما بعد عناية خاصة وكتاب (اختلاف أصول المذاهب) ، (وكتاب الاخبار) او (شرح الاخبار) وكتاب (اختلاف الفقهاء) ، ومن المرجح انها كانت تقرأ وتدرس بالازهر حتى أواخر القرن الرابع الهجري[١٠٤] . اما كتبه التاريخية فهي (افتتاح الدعوة الزاهرة) وهو من الكتب التاريخية الخطية المحفوظة بمكتبة جامعة القاهرة ، وقد اقتبس منه المقريزي وغيره من المؤرخين . وللنعمان أثر كبير في النهضة الثقافية للدعوة الاسماعيلية، وكان ساعد المعز الايمن[١٠٥] توفي سنة ٣٦٣هـ وصلى عليه المعز لدين الله .

ومن اعلام الفكر والادب في هذا العصر والذي كانت له صلة علميـة بالازهر (المسبحي) الكاتب والمؤرخ الشهير وهو الامير المختار عز الملك محمد بن عبدالله بن احمد الحراني ، ولد بمصر سنة ٣٦٦ هـ وتوفي ٤٢٠هـ ، وكان من أقطاب الامراء والعلماء ، تولى الوزارة للحاكم بأمر الله ، ونال حظوة

---

(١٠٢) عنان . تاريخ الجامع الازهر ص ٤١ .
(١٠٣) احمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٨٩ – ٤٠٣ .
(١٠٤) ابن خلكان وفيات الاعيان : جـ٢ ص ٣١٩ .
(١٠٥) محمد عبدالمنعم خفاجي ، الازهر في الف عام ص ٤١ .

لديه ، وأخذ بقسط في مختلف علوم عصره ، والمسبحي[١٠٦] من اساتذة المعهدين الفاطميين دار الحكمة ، والازهر ، وشغف بتدوين التاريخ ، منها تاريخه الكبير المسمى (اخبار مصر) وهو أثر ضخم يتناول تاريخ مصر وما بها من الابنية والعجائب .

أما ابن كلس فيعتبر اول من فكر في اتخاذ الجامع الازهر معهدا للدراسة المنظمة المستقرة ، وكانت مجالسه اول مجالس جامعية ، حقيقية عقدت فيه ، وان الوزير ابا الفرج يعقوب بن كلس سأل العزيز بالله في بناء دار للعلماء بجانب الازهر[١٠٧] .

وابن كلس هذا استوزره المعز وابنه العزيز من بعده وكان يهوديا[١٠٨] من أهل بغداد ثم تحول الى الاسلام وانتقل الى الشام[١٠٩] وعمل سمسارا واثقلته ديون عجز عن ادائها فهرب الى مصر وتاجر لكافور الاخشيدي وتمكنت منزلته لدى كافور واثرى وكثرت امواله ، ورأى كافور فيه فطنة ، وبلغه انه قال في حقه « لو كان هذا مسلما لصلح أن يكون وزيرا » فاسلم ودرس قواعد الاسلام واشتهر أمره وعلت منزلته فتوجس[١١٠] وزير مصر جعفر بن الفرات من تقدمه ، فقد كانت بينهما عداوة قديمة عندما كان وزيرا لكافور الاخشيدي فأخذ يدس له الدسائس فخشي ابن كلس العاقبة وفرّ الى المغرب ، ولحق بالمعز ولبث في خدمته حتى تم فتح مصر على يد جوهر فقدم مع المعز الى مصر وقلده الشؤون المالية .

---

(١٠٦) ابن خلكان جـ١ ص٦٥٣ السيوطي حسن المحاضرة جـ١ ص ٢٦٥ .

(١٠٧) حسن عبدالوهاب ص ٥٢ ، ومحمد كامل حسن في آداب مصر الفاطمية ص ٤٤ .

(١٠٨) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ص ١٥٨ .

(١٠٩) امانة المكتبات والعلاقات الخارجية : (جامعة الازهر في ظل التطور الجديد) ص ١٠ ـ ١١ .

(١١٠) علي الجوسي (المعز لدين الله الفاطمي) ص ٦٩ .

وقد نشط ابن كلس فألف كتابا في الفقه الشيعي على مذهب الاسماعيلية يتضمن ما سمعه من الخليفة المعز وابنه من بعده وهو المعروف (بالرسائل الوزيرية) نسبة الى مؤلفه وهذا الكتاب مبوب على ابواب الفقه الفاطمي وكان يقرأوه على الناس ويجلس بنفسه مع الفقهاء يعقدون مجالسهم بالازهر في كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر ، وكان عدد الفقهاء ـ كما ذكرت سابقا ـ الذين يحضرون للقراءة والدرس في الازهر في زمن العزيز بالله خمسة وثلاثون فقيها[١١١] وقيل سبعة وثلاثون فقيها تجري عليهم الارزاق وكان جلّ حديثهم في الفقه وما اليه .

فالفقهاء الذين رتبهم ابن كلس للقراءة والدرس بالازهر واقرهم العزيز بالله اول فوج من الاساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الازهر ، وباشروا مهمتهم العلمية تحت اشراف الدولة بطريقة منظمة ومستقرة ، ولما مات المعز سنة ٣٦٥ هـ فوض ولده العزيز بالله الى ابن كلس النظر في سائر اموره ولقبه بالوزير الاجل .

وضع ابن كلس كتابا في القراءات وكتابا في الفقه وكتابا في آداب رسول الله وكتابا في علم الابدان والصحة . توفي سنة ٣٨٠ هـ بعد ان ساهم في بناء الدولة الفاطمية بمصر ووطد دعائمها ونفوذها ، وجزع بموته العزيز ايما جزع[١١٢] وامر بتجهيزه تجهيز الامراء والملوك ، وصلى عليه بنفسه . ولما مات خلّف الشيء الكثير وقيل انه كُفّن وحُنط بما قيمته عشرة آلاف دينار ورثاه الشعراء[١١٣] .

ومن الفقهاء والفلاسفة الذين درسوا بالازهر جعفر بن منصور اليمني[١١٤] من فقهاء المذهب الاسماعيلي ، وعرف بميله الى الفاطميين ونال تقدير المعز

---

(١١١) القلقستندى صبح الاعشى جـ٣ ص ٣٦٧ ، والمقريزي خطط جـ٢ ص٢٢٦

(١١٢) عنان ، تاريخ الجامع الازهر ص ٤٨ .

(١١٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ١٥٨ .

(١١٤) عبدالمنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ص٢٣ـ٢٤ ويسميه (جعفر الحاجب) .

الذي اتخذه (باب ابوابه) في مصر وهي أعلى من رتبة قاضي القضاة ، ومن مؤلفاته كتابه (تأويل الاحاديث) وكتاب (الشواهد والبيان) وكتاب (اسرار النطقاء) ويعد من أهم المراجع في تاريخ الأئمة من علي بن ابي طالب الى جعفر الصادق .

أما حميد الدين أحمد الكرماني ، فيعد من فلاسفة الاسماعيلية ودعاتهم في عهد الحاكم بأمر الله ، والذي يلقب بحجة العراقيين . ومن كتبه (المجالس البغدادية) وكتاب (المجالس البصرية) جمع فيها محاضراته التأويلية في العراق. ومن مصنفاته (راحة العقل)[١١٥] .

ومن اشهر مؤرخي مصر ابن زولاق (الحسن بن ابراهيم) ، عاصر الدولتين ، الاخشيدية والفاطمية ، شهد عصر المعز والعزيز بالله ، وله مؤلفات هامة منها (اتمام أخبار امراء مصر) و (سيرة المعز لدين الله) ، توفي سنة ٣٨٧ هـ .

والحسن بن الهيثم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، الفيلسوف والطبيب والرياضي، ولد بالبصرة ورحل الى مصر واقام في عهد الخليفة الفاطمي ، الحاكم بأمر الله وعاش بعد وفاة الحاكم على نسخ المصنفات الرياضية . وقيل ان عدد مصنفات ابن الهيثم تبلغ مائتي كتاب[١١٦] .

مما تقدم تبين ان العصر الفاطمي قد حفل بمجموعة من العلماء النابهين كان لهم أو لاكثرهم نصيب في نشاط الازهر وتعمير حلقاته .

مكتبة الازهر :

كان للجامع الازهر مكتبة خاصة به ، ولكن المؤرخين لم يضعوا بحثا تاريخيا خاصا بهذه المكتبة يليق بمجد هذا الجامع ومكانته فقد ذكر ابن ميسر في اخبار سنة ٥١٧ هـ « انه قد اسند الى داعي الدعاة ابن الفخر صالح منصب

---

(١١٥) محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٥٣ و ١٢٦٧ .
(١١٦) المصدر السابق .

الخطابة بالجامع مع خزانة الكتب »[117] واسناد الاشراف على خزانة الكتب الى داعي الدعاة « ومن قول ابن ميسر هذا نستدل على انه كان للازهر خزانة كتب (مكتبة) وكان الاشراف عليها من قبل داعي الدعاة الذي قيل أعلى مركز ديني بعد قاضي القضاة ، دليلا على قيمتها واهميتها»[118] . يقول ابن عنان : « ولكن لم يشر النص الى عدد ما فيها من الكتب ، ولا نعلم متى انشئت تلك المكتبة وكل ما يمكننا ان نقول انها كانت موجودة في أواخر القرن الخامس حيث اسند الاشراف عليها الى داعي الدعاة كما سبق سنة ٥١٧هـ» .

ويذكر المقريزي[119] انه في خلافة الحاكم بأمر الله ـ ٣٨٦هـ ـ ٤١١هـ نقل نصف الكتب التي كانت بدار الحكمة الى جامع الازهر والباقي الى مسجده ومسجد المقس وربما كان الحاكم بأمر الله بعمله هذا قد وضع نواة لمكتبة الازهر .

ولم تصبح مكتبة بمعناها الحقيقي الا في وقت متأخر جدا وبعد انتهاء[120] الحكم الفاطمي في مصر بمدة طويلة وذلك سنة ١٢٩٧ هـ وكان فيها عند انشائها (٧٧٠٠) مجلدا .

الوظائف التي لها صلة بالازهر :

١ ـ خطيب الازهر . كان خطيب الجامع الازهر يقوم بالقاء الخطبة بين يدي الخليفة في ايام الموالد التي كانت تحتفل بها الخلافة الفاطمية وهو المولد النبوي ومولد امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومولد الحسن والحسين ومولد زوجته فاطمة الزهراء ، ويذكر خطيب الازهر أيضا في وصف الاحتفال بليالي الوقود حيث يخطب أيضا بين يدي الخليفة في هذه الليالي مقدما زملاءه من خطباء المساجد الاخرى[121] .

---

(١١٧) ابن ميسر : اخبار مصر ص ٦٤ .
(١١٨) عنان : تاريخ الازهر ص ٨٨ .
(١١٩) المقريزي خطط جـ ٢ ص ٢٧٣ و ٢٧٥ .
(١٢٠) سعاد ماهر : الازهر أثر وثقافة ص ٢٦ .
(١٢١) القلقستندي صبح الاعشى جـ٣ ص٤٩٨ .

وكل ما يتعلق بشؤون الصلاة ، يرجع الى الخطيب والى عدد من الائمة والقومة والمؤذنين . والخطيب في الواقع هو رئيس الجامع الديني وهو الذي يتولى الخطابة في الصلوات الجامعة والحفلات الدينية الرسمية بين يدي الخليفة او نائبه[١٢٢] . ويدير شؤون المسجد الدينية بوجه عام . ثم نمت وظيفة ـ خطيب الازهر ـ تبعا لنمو اهمية الازهر نفسه ، فهي في أواخر الدولة الفاطمية تسند الى رجال من أصحاب المناصب الدينية الرفيعة مثل داعي الدعاة .

أما ادارة المسجد الداخلية من فرش وتنظيم وتجميل فترجع الى المشرف ومعاونه من العمال والخدم[١٢٣] . وما يتعلق بشؤون الدراسة والاساتذة والنفقة عليهم كما ذكرت ترجع الى الخلفاء والى ذوي البر من أكابر رجال الدولة ، كما فعل العزيز بالله ووزيره ابن كلس اول من رتبا النفقة الدائمة للقراء والاساتذة بالازهر وحذا حذوهما في ذلك الخلفاء والامراء في مختلف العصور .

٢ ـ داعي الدعاة : وهو موظف كبير اسندت اليه رياسة الدعوة الاسماعيلية في عهد الفاطميين وبلغ من عناية الفاطميين بنشر عقائد مذهبهم انهم فتحوا أبواب قصورهم لانصارهم من الاسماعيلية واصبح داعي الدعاة يشرف على مجالس الدعوة وهو يلي قاضي القضاة في الرتبة وتزيا[١٢٤] بزيه .

وكثيرا ما كانت وظيفتا داعي الدعاة وقاضي القضاة تسندان الى رجل واحد كما يقوم أيضا بالنظر في المظالم[١٢٥] ، ويساعد داعي الدعاة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيبا وله نواب ينوبون عنه في البلاد،

---

(١٢٢) سعاد ماهر ، الازهر أثر وثقافة ص ٣١ .

(١٢٣) عبدالمنعم خفاجي . الازهر في الف عام ص ١٤٠ القلقستندي صبح الاعشى جـ٣ ص ٤٨٣ .

(١٢٤) القلقستندي صبح الاعشى . جـ٣ ص ٤٨٣ .

(١٢٥) ابن خلدون : العبر جـ٢ ص ٥٦ .

وبذلك يعتبر الصلة بين الخليفة واتباعه من الاسماعيلية ، ويعرف داعي الدعاة بباب الابواب ويرأس مجالس الحكمة التأويلية[١٢٦] .

وكان داعي الدعاة يعقد في الازهر مجلسا خاصا للنساء يسمى مجلس الدعوة يلقنهن فيه اصول هذا المذهب . وكانت هذه المجالس تفرد للناس كل حسب طبقته[١٢٧] .

٣ ـ قاضي القضاة : وهي وظيفة دينية يشغلها مدنيون في حضـــرة الخليفة الفاطمي[١٢٨] . وكان قاضي القضاة يلي الوزير في الرتبة وله مركـــز رفيع في عهد الفاطميين ، فهو الذي يحمل المبخرة التي يقف تحتها الخليفة عند القاء الخطبة وهو الذي يدخل على الخليفة وهو في قاعة الخطابة فيشير ببدء الصلاة ، وهو ذلك الموظف الكبير الذي يقف مع الوزير على باب هذه القاعة ، وهو يلي الوزير في التبليغ عن الخليفة عند اقامة الصلاة ، واذا خرج الخليفة من الجامع بعد الصلاة سار الوزير عن يمينه وسار قاضي القضاة عن يساره يتبعه داعي الدعاة[١٢٩] . وقـــد عرفت وظيفة قاضي القضاة منذ عهد الخليفة المعز الفاطمي وعظم شأن قاضي القضاة في الدولة الفاطمية ، فقد عهد اليه أمر الجوامع والمساجد وكان ينوب عن ولي الامر في الصلاة والخطابة كما كان يعهد اليه بقضاء الديار المصرية واجناد الشام وبلاد المغرب والايتام والمظالم ودورالغرب[١٣٠] .

وعلى الرغم من تعصب الفاطميين للمذهب الشيعي وبخاصة الحاكم بأمر الله[١٣١] فاننا نجده بعد قتله القاضي مالك بن سعيد وقع اختياره

---

(١٢٦) محمد كامل حسين ، في اداب مصر الفاطمية ص ٥٤ .

(١٢٧) ابحاث الندوة جـ٢ ص ٦٠٢ .

(١٢٨) القلقشندي صبح الاعشى ص٣ ص٤٨٢ . المقريزي الخطط جـ٣ ص٣١٣

(١٢٩) المقريزي الخطط جـ ٢ ص ٢٨١ .

(١٣٠) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ٣ ص٨٤٢ .

(١٣١) عبدالمنعم ماجد ، (الحاكم بامر الله) ص ٦٨ .

على مصري اسمه احمد بن ابي العوام وكان هذا سنيا فاشترط عليه ان يكون اساس حكمه كتاب الله وسنة نبيه والمأثور عن علي بن ابي طالب واباء الحاكم . كما أقام معه اربعة من فقهاء الشيعة لئلا يحكم بغير المذهب الشيعي .

وكان يعقد مجالسه كل يوم اثنين وثلاثاء بالجامع الازهر ، ويركب ايام الجمع مع الحاكم ، وكل أحد وخميس بجامع عمرو ، ويوم الاربعاء للراحة ويوم السبت يطلع الخليفة على ما يرى في البلاد . كذلك نقل ابن ابي العوام سجلات الحكم او دواوين القضاء الى الجامع بعد ان كانت توضع عادة عند القاضي في داره(١٣٢) .

٤ ـ المحتسب : منصب المحتسب من المناصب الدينية الهامة في الدولة الفاطمية في مصر وهو الثالث عندهم بعد قاضي القضاة وداعي الدعاة ، وكان المحتسب الى اول عهد الفاطميين سنيا كغيره من موظفي المراكز الدينية فأقاله جوهر على اثر الفتح وعين مكانه رجلا من المغاربة وذلك سنة ٣٥٩هـ ، وثار الصيارفة على المحتسب الجديد لانه انب جماعة منهم(١٣٣) . وذكر المقريزي(١٣٤) ان الصيارفة قد شيعوا عندما علموا عزم جوهر على حرق رحبتهم ، ولكنه عدل عن ذلك خوفا على الجامع .

وقد ارتقى نظام الحسبة في عهد الفاطميين فكانت اعمال المحتسب واسطة بين القاضي وصاحب النظر في المظالم وكان ينتخب من اعيان المسلمين ، فكان اليه الاشراف على الاسواق والمحافظة على الآداب واستيفاء الديون ومراقبة الموازين والمكاييل وكان لها دار خاصة تعاير فيها(١٣٥) .

---

(١٣٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣١٠ ـ ٣١١ .

(١٣٣) علي ابراهيم حسن : تاريخ جوهر ص ٨٠ طبعة اولى .

(١٣٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٨٧ .

(١٣٥) فكان المحتسب يطالب جميع الباعة الى هذا الدار في اوقات معينة ومعهم موازينهم ومكاييلهم حيث يعايرها . علي ابراهيم حسن ص ٨٢ .

ويجلس بالجامع الازهر وجامع عمرو يوما بعد يوم للفصل بين الناس وله نواب ينوبون عنه في القيام بهذه الاعمال في مصر وغيرها من البلدان[١٣٦] ، وكان يتقاضى راتبا شهريا قدره ثلاثون دينارا[١٣٧] . ولكي يكون المحتسب عفيفا عن اموال الغير ولا تفسده الرشوة كان يتسلم بالاضافة الى الراتب الذي يتقاضاه بانتظام ما يمنحه الخليفة من خلع ، فقد اعطى الحاكم الى محتسبه سنة ٤٠٢ هـ خمسة آلاف دينار ذهبا وعشرون فرسا بسروجها ولجامها[١٣٨] .

ويعتبر عمل المحتسب عملا اخلاقيا في اساسه ، ويشمل النهي عن الامور التي تسمى المنكرات في الشريعة الاسلامية ولكن الفاطميين حاولوا ان يستخدموا النهي عن المنكرات لتحقيق اغراض مذهبية بحتة ، وذلك بجعل المباديء الشيعية جزءا من قواعد الحسبة ، فكان عمل المحتسب الفاطمي ايقاف كل ما هو دخيل على معتقدات الشيعة ، وكانت مذهبية الحسبة تقوى وتضعف حسب تحمس الخلفاء الديني وتعصبهم للمذهب، ولم يبلغ التحمس اشده الا في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذي اعتنق العقيدة الشيعية المتطرفة ، وكان لفرط تعصبه للدين يقوم بتنفيذ أوامر الحسبة ونواهيها بنفسه[١٣٩] .

يقول القلقشندي : « رأيت في بعض سجلاتهم اضافة الحسبة بمصر والقاهرة الى صاحبي الشرطة فيهما أحيانا »[١٤٠] .

وكان يكلف في بعض الاحيان بالقيام بامور القضاء كما فعل الحاكم بأمر الله عندما عهد الى المحتسب امور القضاء ، لما قيل القاضي مالك بن سعيد سنة ٤٠٥ هـ الى ان عين قاضي بدله[١٤١] .

---

(١٣٦) القلقشندي صبح الاعشى : جـ٣ ص ٤٨٣ ، وابحاث الندوة جـ٢ ص٦٠٢

(١٣٧) علي ابراهيم حسن ص ٨٢ .

(١٣٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٦٥١ .

(١٣٩) المصدر السابق .

(١٤٠) القلقشندي صبح الاعشى جـ٣ ص ٤٨٣ .

(١٤١) عبدالمنعم ماجد : الحاكم بامر الله ص ٦٨ .

نرى مما تقدم انه الى جانب المكانة العلمية التي كان يتمتع بها الازهر كانت له فوق ذلك اهمية رسمية خاصة ، ففيه كان جلوس قاضي القضاة في أيام معينة ، وفيه يعقد داعي الدعاة مجالس لتلقى المذهب الاسماعيلي وفيه مركز المحتسب العام وفيه كان كثير من المجالس الخلافية والقضائية[١٤٢] .

أما حلقات الجمعة في الازهر[١٤٣] فكانت تعتبر موسما اسبوعيا حافلا يغص فيه المسجد بجمهرة الفقهاء والادباء والشعراء وفيها كانت تلقى البحوث الكلامية والمناظرات الادبية والمطارحات الشعرية وحتى النساء كن يحضرن في الجامع الازهر لشهود نوع من القراءة والدرس ، ومن النساء اللائي كن يحضرن حلقات الازهر الدراسية في العصر الفاطمي المتأخر ، أم زينب فاطمة بنت عباس المعروفة (بالبغدادية) ، وكانت فقيهة وافرة العلم وانتفع بعلمها كثير من نساء مصر ودمشق .

وقد اصبح الازهر منذ انشائه مسجد الدولة الفاطمية الرسمي فكانت تقام فيه صلاة الجمعة وعيد الفطر والاضحى ، وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر في عهد صلاح الدين . وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعي ، فأبطل من الجامع الازهر واقر الخطبة بالجامع الحاكمي ــ لانه اوسع ــ .

فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام الى ان اعيدت الخطبة في ايام الملك بيبرس[١٤٤] .

وفي ايام الجمع من شهر رمضان يركب الخليفة للصلاة في جوامع القاهرة ومنها الازهر ، فالجمعة الاولى من رمضان راحة ، والجمعة الثانية يركب فيها الخليفة الى جامع الانوار ، والجمعة الثالثة من الشهر يركب الى الجامع الازهر ،

---

(١٤٢) سعاد ماهر : القاهرة القديمة واحياؤها ص ٢٥ .

(١٤٣) بالاضافة الى مجلس يوم الثلاثاء يجتمع فيه الوزير ابن كلس مع جماعة الفقهاء والمتكلمين ، محب الدين الخطيب : الازهر ماضيه وحاضره والحاجة الى اصلاحه ص٩ .

(١٤٤) المقريزي الخطط جـ٤ ص٥٣ .

والجمعة الرابعة منه الى الجامع العتيق[١٤٥] ، ولكن ابن تغرى بردى يذكر ان الخليفة المعز كان يصلي الجمع الثلاث الاخيرة من رمضان في الازهر فيقول : « في عيد الفطر من سنة ٣٦٢ هـ ركب الخليفة المعز الفاطمي الى الجامع الازهر، وأمّ الناس بنفسه ، والقى خطبة بليغة[١٤٦] كان لها تأثير في نفوس المصلين ، وكانت هذه اول صلاة يقيمها الخليفة الفاطمي في الازهر وظل المعز يخطب في هذا الجامع بنفسه في الجمع الثلاث الاخيرة من شهر رمضان ، وفي الاعياد حتى تم انشاء جامع الحاكم بأمر الله » . وحينئذ الغى الازهر ولاول مرة في جامع الحاكم منافسا يضارعه الصفة الرسمية التي استأثر بها حتى ذلك الحين، فاقيمت فيه صلاة الجمعة من شهر رمضان سنة ٤٠٣ هـ حيث أمّ الخليفة الحاكم الناس في الصلاة واصبحت صلاة الجمعة تقام من حين الى آخر في بعض المساجد الاخرى ، بيد ان الجامع الازهر لم يفقد من جراء هذه المنافسة مكانته الخاصة ، بل كان دائما يعتبر في نظر الخلفاء الفاطميين ورجال الدولة مسجد الدولة الاول .

وكان الخليفة يركب للصلاة وللخطبة ، وفقا لرسوم وتقاليد معينة ،فكان يتقدم متولي خزانة الفرش الى الجامع ومعه متولي بيت المال لفرش الجامع بالحصر وتخصيص سجادة لطيفة لا تكشف الاّ عند توجه الخليفة الى المحراب، فيفرش في المحراب ثلاث طراحات فاخرات ، واحدة فوق الاخرى ، ويعلق ستران يمنة ويسره ، وتسدل الستارة على الخليفة[١٤٧] ، ثم تطلق البخور من قبل قاضي القضاة ويبخر بها على المنبر ، وتغلق ابواب الجامع ويجعل عليها البوابون ولا يمكن لاحد ان يدخله الا من هو معروف من الخواص والاعيان،

---

(١٤٥) القلقشندي صبح الاعشى جـ٣ ص٥٠٥ ، وحسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦٦٦ .

(١٤٦) (ابن تغردى بردى) النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٠٢ .

(١٤٧) القلقشندي صبح الاعشى جـ٣ ص٥٠٧ ، ان السبب في وضع الستور ان الخلفاء الفاطميين لم يكونوا كسائر الخلفاء يرتجلون خطبهم بل كانت تعد لهذا الغرض في ديوان الانشاء .

ويخرج الخليفة من باب الذهب بالمظلة الذهبية[١٤٨] وبيده القضيب وعليه الطيلسان والسيف الى ان يصل الجامع ووزيره بين يديه الى باب الجامع الازهر ، فيجلس في مجلسه ـ المقصورة ـ ويقرأ المقرئون[١٤٩] فيلقي الخليفة خطبة قصيرة من سطور معدة له يتلو فيها آية من القرآن الكريم ، ثم يصلي على ابيه علي بن ابي طالب ، وجده النبي (ص) ويعظ الناس ، فاذا انقطعت الصلاة اخذ لنفسه راحة بالجامع بمقدار ما تعرض عليه الرسوم وتفرق[١٥٠] ، والرسوم (هي اعطاء مبالغ من المال لكل من قاضي القضاة ، وداعي الدعاة وقراءالحضرة، والخطباء وغيرهم . فكان للخطيب ثلاثة دنانير وللمؤذنين اربعة دنانير ، ولمشارف خزانة الفرش وفراشيها ومقوليها لكل منهم ثلاثة دنانير ، ولصبيان بيت المال ديناران ، واما القراء فلهم رسوم غير ذلك ، ولمعبي الفاكهة ديناران، وان الفاكهة التي كانت تعبأ بالجوامع تباع بمبالغ كثيرة ويتزاحم الناس على شرائها لبركاتها ، ويقسم ثمنها بين الامام والمؤذنين. ثم تفتح ابواب الجامع[١٥١] ويأخذ الخليفة رقاع المتظلمين بيده ، ويقرأ منها عدة في الطريق[١٥٢] ، ودام هذا الترتيب الى ايام العاضد[١٥٣] آخر خلفاء مصر من الفاطميين .

وقد ذكر عن الخليفة العزيز بالله من انه كان يقيم سماطا في الجامع الازهر لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان . وكانت لحوم الاضحى التي تنحر يوم الاضحى ويتولى الخليفة نحرها بنفسه ، يفرق معظمها على الطلبة ، وعلى المتصدرين بجوامع القاهرة ومنها الازهر ، وكانت العادة قبل رمضان

---

(١٤٨) (ابن تغرى بردى) النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٠٣ ، القلقشندي صبح الاعشى جـ٣ ص٤٦٩ يقول « المظلة الذهبية على هيئة خيمة على رأس عمود كالمظلة ولها مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة وحاملها من اكبر الامراء » .

(١٤٩)) القلقشندي صبح الاعشى جـ٣ ص ٥٠٣ .

(١٥٠) (ابن تغرى بردى) النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٠٣ .

(١٥١) المصدر السابق جـ٤ ص ١٠٣ .

(١٥٢) المقريزي الخطط جـ٤ ص ٦١ .

(١٥٣) (ابن تغرى بردى) النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٠٤

بثلاث أيام أن يطوف القضاة على المساجد ليتفقدوا حصرها وقناديلها ،فيبدأون بجامع المقس ثم الازهر ثم جامع عمرو(١٥٤) .

وتعتبر ليالي الوقود من المناسبات العامة التي يتبوأ فيها الجامع الازهر مكانة خاصة فيخرج الناس اليه ، من كل فج ويبدو فيها المسجد الشهير كأنه شعلة من النور تضاء في جوانبه وعلى حافاته المشاعل والوقودات الساطعة ، ويعقد في صحنه ، مجلس حافل من القضاة والعلماء برياسة قاضي القضـــاة ويبعث الخليفة اليهم بسلال من الاطعمة والحلوى الفاخرة(١٥٥) .

وتذكر بعض الروايات ان ليالي الوقود الاربع هي ليلة اول رجب ، وليلة نصفه وليلة اول شعبان ، وليلة نصفه(١٥٦) ، وكان الخليفة يقصد مساء الى منظرة الجامع الازهر ، ويجلس في هذه المنظرة ومعه حرمه ، وذلك لمشاهدة الزينات المضيئة والاحتفالات الضخمة التي كانت تقـــام في تلك الليـــالي الشهيرة(١٥٧) .

اما الاحتفال المحزن بيوم عاشوراء ــ مأتم عاشوراء ــ فكان يقـــام بالجامع الازهر قبل انشاء المشهد الحسيني في سنة ٥٤٩ هـ وكان هذا الحفل من المظاهر المذهبية التي رتبتها الدولة الفاطمية لاحياء ذكرى الحسين ففي العاشر من المحرم يحتجب الخليفة عن الناس ، وفي الضحى يركب قاضي القضاة والشهود ، وقد ارتدوا ثياب الحداد ، الى الجامع الازهر في حفل من الامراء والاعيان وقراء الحضرة ، والعلماء ، ثم يأتي الوزير فيتبوأ صدر المجلس ، ويجلس الى جانبيه قاضي القضاة ، وداعي الدعاة ، والقراء يتلون القرآن .

---

(١٥٤) علي باشا مبارك الخطط التوفيقية جـ١ ص ١١ .
(١٥٥) عنان : تاريخ الجامع الازهر ص ١٠٦ .
(١٥٦) القلقشندي صبح الاعشى جـ٣ ص ٤٩٧ .
(١٥٧) المقريزي : خطط جـ٢ ص ٨١ .

ثم ينشد قوم من الشعراء اشعارا في رثاء الحسين ، والحسن وآل البيت ويعم الحزن ، والنواح القاهرة في ذلك اليوم ، وتعطل الاسواق ، ويعكف الناس حتى العصر ، ثم تسترد العاصمة شيئاً من نشاطها(١٥٨) .

ومن اعيـــاد الفاطميين أيضا عيـد الغـــدير الذي احتفل به المعز ، لدين الله(١٥٩) .

مما تقدم ان الازهر ، كان وما يزال أهم ينابيع الدعوة التي افاد منهـــا العالم الاسلامي ، منذ تأسيسه حتى اليوم ، ففي مصر ، كان الازهر هو اساس النهضة الشاملة التي تعيشها اليوم ، فلم يكن دوره العلمي مقصورا ، على العلوم الدينية واللغوية ، بل كان تدرس فيه شتى ألوان المعرفة ، وهو اليوم مركز الاشعاع الروحي لجميع الشعوب الاسلامية في اركان المعمورة ، تخرج من اروقته وقاعاته هداة ومرشدون وقادة مصلحون .

---

(١٨٥) ابن تغري بردى جـ٥ ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(١٥٩) النونجتي : فرق الشيعة ص ١٩ : سمى عيد الغدير نسبة الى غدير ضم مكان بين مكة والمدينة .

المصـــادر

١ ــ ابن اياس : محمد بن احمد بن اياس (١٣١١هـ ــ ١٨٩٤م)
(تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور في وقائع الدهور) طبعة اولى مطبعة بولاق الاميرية .

٢ ــ ابن تغرى بردى : ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى (٨١٣ ــ ٨٧٤هـ)
« النجوم الزاهرة وفي اخبار مصر والقاهرة : وزارة الثقافة والارشـاد القومي المؤسسة المصرية .

٣ ــ ابن خلكان : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان
(وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان) حققه الدكتور احسـان عباس ٦٠٨هـ ــ ٦٨١هـ ــ دار الثقافة بيروت .

٤ ــ ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد .
(العبر) جـ ٢
مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ــ لبنان (١٣٩١هـ ــ ١٩٧١ م)

٥ ــ ابن ميسر : محمـد بن علي بن يوسف بن جلب المعروف بابن ميسـر (٦٧٧ هـ ــ ١٢٧٨ م)
(أخبار مصر) . مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة .

٦ ــ ابو صلاح الالفي : (الفن الاسلامي ، اصوله ، فلسفته ، مدارسـه) الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .

٧ ــ احمد فكري : (مساجد القاهرة ومدارسها) . ط دار المعارف ــ القاهرة

٨ ــ احمد شلبي : (موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية) ، الطبعة الخامسة ١٩٧٤ م .

٩ ــ امانة المكتبات والعلاقات الخارجية : (جامعة الازهر في ظل التطـور الجديد) .

١٠ ــ حسن الباشا : (الفنون الاسلامية والوظائف) جـ٣ ١٩٦٦ دار النهضة العربية

١١ ــ حسن ابراهيم حسن : (تاريخ الدولة الفاطمية) الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

١٢ ــ حسن عبدالوهاب : ١ ــ (تاريخ المساجد الاثرية) مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٦ م

٢ ــ (العمارة الاسلامية في العصر الفاطمي) ، مجلة العمارة العدد ٥ ــ ٦

١٣ ــ الجبرتي : عبدالرحمن حسن الجبرتي ١٢٣٧ هـ
(عجائب الآثار في التراجم والاخبار) تحقيق حسن جوهر وعبدالفتاح السرغاوي ١٩٥٨ م
ملتزم الطبع والنشر لجنة البيان العربي .

١٤ ــ جرجي زيدان (تاريخ التمدن الاسلامي) مطبعة الهلال ، الطبعة الرابعة ١٩٣٥ م .

١٥ ــ دائرة المعارف الاسلامية ، انتشارات جهان ــ طهران ١٩٣٣ . مادةالازهر

١٦ ــ زكي محمد حسن : (كنوز الفاطميين) .

١٧ ــ سعاد ماهر : ١ ــ القاهرة القديمة واحياؤها ، وزارة الثقافة والارشاد المصرية .

٢ ــ الازهر أثر وثقافة : دراسات في الاسلام ، وزارة الاوقاف ١٩٦٢ يصدرها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

١٨ ــ سليمان رصد الحنفي الزياتي : كنز الجوهر في تاريخ الازهر : مطبعة هندية بالازبكية ١٣٢٠ هـ .

١٩ ــ السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ٩١١ هـ ، مطبعة عيسى البابي ، ١٩٦٧ م .

٢٠ ــ عبدالمنعم ماجد : ١ ــ (الحاكم بامر الله) مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٩
٢ ــ ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر • بلا
٢١ ــ عبدالحميد يونس : (الازهر) الطبعة الاولى ، دار الفكر العربي •
٢٢ ــ عبدالرحمن زكي : الازهر وما حوله من آثار ــ القاهرة ــ الهيئة المصرية العامة ١٩٧٠ •
٢٣ ــ علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة جـ٢ ، المجلد الاول ، الطبعة الاولى ، مطبعة الكبرى الاميرية ١٣٠٦ هـ •
٢٤ ــ علي ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلي ، مطبعة حجازي القاهرة ، طبعة اولى •
٢٥ــ علي الحوسي : المعز لدين الله الفاطمي ، الدار التونسية للنشر ١٩٧٠م•
٢٦ ــ عثمان توفيق : (الازهر) طبعة اولى ــ دار الفكر العربي •
٢٧ ــ العقاد : عباس محمود العقاد ــ مسلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد ٢٧ (فاطمة الزهراء والفاطميون) •
٢٨ ــ فريد شافعي : (مئذنة ابن طولون) (عن كريزول وفييت) ، مطبعة فؤاد الاول ١٩٥٢ م •
٢٩ ــ القلقشندي : ابي العباس أحمد بن علي القلقشندي توفي ١٨٢١هـ (صبح الاعشى) مطابع كوستا توماس وشركاه •
٣٠ ــ الكندي : ابي عمو محمد بن يوسف الكندي المعري (الولاة والقضاة) مهذبا ومصححا بقلم رفي كست ، بيروت ١٩٠٨ م •
٣١ ــ كمال الدين سامح : (العمارة الاسلامية في مصر) ، مطبعة مصر
٣٢ ــ محمد كمال حسين : (في آداب مصر الفاطمية) طبعة ثانية ، مطبعة القاهرة ١٩٤٥ م •
٣٣ ــ محمد عبدالله عنان : تاريخ الجامع الازهر ، الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٩٥٨م •

٣٤ ــ محمد الغرب موسى : (وحدة تاريخ مصر) ، بيروت المؤسسة العربية دار المعارف بمصر ١٩٧٤ م .

٣٥ ــ محب الدين الخطيب : (الازهر ماضيه وحاضره) ، مطبعة السلفية . الحيدرية . ١٩٣٦ م

صححه وعلق عليه ، محمد صادق بحر العلوم

٣٦ ــ محمد عبدالمنعم خفاجي : (الازهر في الف عام) طبعة اولى بالقاهرة ، المطبعة الخيرية ١٣٧٤هـ .

٣٧ ــ محمد عبدالعزيز مرزوق : (مساجد القاهرة قبل عصر المماليك) ، مطبعة للدراسات والنشر ١٩٧٢ م

٣٨ ــ محمد جمال سرور : (الدولة الفاطمية في مصر) .

المطبعة المنيرية بالازهر .

٣٩ــ محمد التوانسي : (ابو الفتوح) ياقوت الحموي ، الجغرافي الرحالة عطايا بمصر ١٩٤٢ م

٤٠ــ المقريزي : تقي الدين احمد بن علي المقريزي (٨٤٥هـ) ١ ــ (اتعاظ الحنفا) ١٩٤٨م حققه جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

٢ ــ (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار) طبعة بولاق.

٤١ــ محمود ابو العيون : (الجامع الازهر : نبذة في تاريخه الازهر) ١٩٤٩م.

٤٢ــ ناصر خسرو : (سفرنامه) ، نقله للعربية يحيى الخشاب ، طبعة اولى ، القاهرة ١٩٤٥م .

٤٣ــ نعمت اسماعيل علام : (فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية)

٤٤ــ النونجتي : ابي محمد الحسن بن موسى (٣١٠هـ) (فرق الشيعة) المطبعة الاديب .

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ .

٤٥ــ وزارة الاوقاف (الازهر ، تاريخه وتطوره) ١٩٦٤م .